التأثيرات السياسية لعملية طوفان الاقصى على الصراع العربي – الإسرائيلي

م.م سعد ماجد عبد الحسين جبار
كلية التربية/ الجامعة العراقية
Saad.m.abdulhussen@alirqia.edu.iq

ملخص البحث:

في السابع من شهر تشرين الأول 2023 نفذت حركة حماس هجوماً عسكرياً في مستوطنات غلاف غزة المحتلة, وكبدته خسائر فادحة في الأرواح والمعدات, إلا إنَّ حركة حماس اعتمدوا عنصر المباغتة في عمليتهم العسكرية, بعد أن نفذوا عمليتهم سرعان ما انسحبوا من المستوطنات المحتلة. لم يستمر ذلك طويلاً حتى بدأت إسرائيل في استيعاب صدمة الهجوم, وأخذت تحشّد المجتمع الدولي، وتشيطن كل من يقف ضد مشروعها في تهجير أهالي غزة، بطرق أقل ما يمكن وصفها بالهمجية. ولم يبخل المجتمع الغربي في تعاطفه مع الكيان الصهيوني الغاصب, إذ سرعان ما مدّ يد العون للاحتلال الصهيوني بذريعة الدفاع عن النفس، متجاهلا كل القوانين والأعراف الدولية الهادفة الى حماية حقوق الانسان.

الكلمات المفتاحية : التأثيرات السياسية ،طوفان الاقصى ، الصراع الإسرائيلي.

The political effects of the Al-Aqsa Flood operation on the Arab-Israeli conflict

Assist. Lectuer. Saad Majed Abdul Hussein Jabbar
College of Education/Iraqi University

Abstract-:

On October 7, 2023, Hamas carried out a military attack on the settlements of the occupied Gaza Strip, inflicting heavy losses in lives and equipment. However, Hamas relied on the element of surprise in their military operation. After carrying out their operation, they quickly withdrew from the occupied settlements. This did not last long until Israel began to absorb the shock of the attack, and began to mobilize the international community and demonize anyone who stood against its project to displace the people of Gaza, in ways that can be described as barbaric. The Western community did not skimp on its sympathy for the usurping Zionist entity, as it quickly extended a helping hand to the Zionist occupation under the pretext of self-defense, ignoring all international laws and norms aimed at protecting human rights.

Keywords: political influences, Al-Aqsa Flood, the Israeli conflict.

المقدمة

ان معركة طوفان الاقصى التي اندلعت في 7/ اكتوبر/2023 لم تكن مجرد معركة دفاعيّة أَبْعدُ أهدافها الاستراتيجية تحرير الأرض، ولم تكن منعطفاً مفصلياً هاماً في تاريخ القضية الفلسطينيّة على المستوى السّياسيّ والعسكريّ فحسب، ولم تأتِ نتائجُها صادمةً للعدو وحلفائه والمتواطئين معه فحسب؛ بل كانت كذلك حتى للمؤيّدين والدّاعمين والمُناصرين، ولقد فاقت نتائج هذه المعركة التّوقعات كلها، وبالرّغم من الخسائر الكبيرة المُتكبّدة؛ إلا أنّ المصالح الاستراتيجية الخفيّة التي تمّ تحقيقُها -على مستوى الأمة الإسلامية- أكبر بكثير مما هو متوقع .

يقف العالم اليوم عاجزاً عن فهم ما جرى بكل أبعاده وسياقاته، فقد أجمع الجميع بمن فيهم المجتمع الدولي والغربي وحكوماته عن صدمته بما حقّقته هذه المعركة الملحمية الكُبرى من نصرٍ نوعيٍّ لعموم الأمة العربية, وبالتالي فأن مصالحها الاقتصادية ستلزمها على تحسين علاقاتها مع (إسرائيل)، عليه يمكن القول أن إسرائيل وظفت البعد عسكري لتحقيق ابعاد اقتصادية و سياسية على المدى البعيد.

اهمية البحث

تتمثل اهمية بحثنا الحالي في التعرف على الدور الفاعل لعملية "طوفان الأقصى" ذات ألاهمية الاستراتيجية الكبرى كونها اسست لتغييرات اجتماعية وسياسية واقتصادية بالضد من السياسات التي حاولت إسرائيل تكريسها في غزة منذ انسحابها منه في سنة 2005, و ينطلق البحث من فكرة إن الحرب (الإسرائيلية) على غزة ما هي إلا هدف ووسيلة لتحقيق مشروع صهيوني- أمريكي يتمثل بقناة بن غوريون التي باتت تشكل غاية (إسرائيل) في السيطرة على طرق الملاحة والتجارة الدولية في المنطقة الذي من شأنه السيطرة على المنطقة العربية عبر ربط اقتصاداتها مع إسرائيل واذا ما احكمت سيطرتها الاقتصادية عندها سوف لن تحتاج (إسرائيل) إلى اعتراف أو تطبيع الدول العربية،

ومن هنا اكد موضوعنا هذا على كشف الاهمية العلمية والعملية لمعركة طوفان الاقصى المباغتة والتي افضت إلى تحدي السياسات الدموية الإسرائيلية ضد غزة وحركة حماس فيها، فضلًا عن انها كشفت عن الفشل الكبير للمنظومة العسكرية والأمنية الاسرائيلية واستراتيجيتها القائمة على الإبادة الجماعية.

اهداف البحث

يهدف بحثا هذا الى تشخيص معركة طوفان الأقصى التي أفرزت لنا مخرجات تربوية وقيميّة جليّة ما كانت تظهر لولا هذا الطوفان العظيم، بعد أن كادت تتلاشى في وجدان الناس إثر الانتكاسات المتوالية التي مَرّت بها الأمة العربية، وإثر اليأسِ الذي تملّك نفوسَ الشباب بعد ثورات الربيع العربي، وجهود التطبيع والتّواطؤ الدولي والتخاذل الإقليمي.

اما عن ابعاد العملية فقد لوحظ ان طوفان الأقصى قد اظهرت المميزات التاريخية للنزاع العربي - الصهيوني و انه نزاع "لا يعرف الحلول المتكاملة"، بسبب اتفاقيات التسوية منذ بدء السياسة الاستيطانية في فلسطين المحتلة والتي تنتهي بحلول غير منصفة ,وكان مغزى هذه الاستراتيجية انها قد جاءت لتجدّد الدماء في عروقنا من جديد، ولِتبدد راية الطغيان والكفر، فالإسلام لا يموت، صحيح قد يمر بمراحل ضعف لكنه لا يموت أبداً، وقد جاء هذا الطوفان ليحيي قلوبنا ولِيُعيد بناء فكرنا ويُعمّر أرواحنا بعد أن حلّ بها الخراب ونخر فيها سوس اليأس، جاء ليبعث لنا رسائل تربوية مركّزة من قلب الخندق، من عُمق الأنفاق ليُنير لنا الآفاق، ان معركة طوفان الأقصى أعادت فينا بناء الإنسان وأحيته بداخلنا من جديد، وفي نفس الوقت أماتت مصداقية المنظمات الدولية الغربية التي صدّعت رؤوسنا بحقوق الإنسان.

وقد نتج عن عملية طوفان الاقصى تداعيات محلية واقليمية ودولية ويمكن عد هذه العملية ثاني انتصار للعرب على اسرائيل بعد حرب تشرين عام 1973اذ لهذه العملية اثار سلبية على مختلف قطاعات الحياة للكيان الصهيوني وعلية يمكن القول ان عملية طوفان الاقصى تعد المرحلة الاولى لبداية زوال الكيان الصهيوني وتحرير ارض فلسطين.

اشكالية البحث

انطلقت اشكالية البحث من ان بقاء اسرائيل يعتمد بشكل اساسي على دعم الدول الغربية لها وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية بإقامه دوله قوميه دينيه يهودية على ارض فلسطين بهدف تمزيق المنطقة العربية واضعافها من خلال التدخل في شؤونها الداخلية خدمه لمصالحها الدولية , ومن

هنا جاءت عملية طوفان الاقصى للرد على سياسات الاحتلال الاسرائيلي لأرض فلسطين واستمرار ممارسته العدوانية بحق الشعب الفلسطيني وحرياته ومقدساته والتي تعد المعضلة الأساسية التي عانى منها الشعب الفلسطيني منذ اعلان وعد بالفور عام 1917وحتى الوقت الراهن.

فرضية البحث

في موضوع بحثنا هذا يمكن القول انه استطاعت فصائل المقاومة وعلى راسها كتائب عز الدين القسام من خلال هذه العملية تحديد نقاط ضعف الكيان الصهيوني واستطاعة بفضل ارادة وعزيمة ابطال المقاومة بالرغم من امكانياتهم المتواضعة قياسا بإمكانيات العسكرية والأمنية الإسرائيلية، فقد استطاعت من خلال دفاعها عن القضية الفلسطينية قهر الجيش الاسرائيلي والذي عرف بانه هو الجيش الذي لا يقهر ابدا وقد نتج عن هذه العملية نتائج سلبيه لإسرائيل على جميع الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية .

منهجية البحث

تقوم منهجية البحث على أكثر من منهج ومقترب، منها منهج التحليل الوصفي، ومنهج الثقافة السياسية ،بالإضافة إلى المنهج المقارن في حال تطلب الأمر في دراسة المقاربات بين المواقف السياسية والاجتماعية.

هيكلية البحث

المبحث الاول : التأثيرات المتبادلة لعملّية طوفان الاقصى على الكيان الصهيوني والمقاومة الفلسطينية

المبحث الثاني : انعكاسات طوفان الاقصى على مستقبل الصراع العربي-الاسرائيلي

المبحث الثالث : نتائج عملية طوفان الاقصى وابعادها المستقبلية

المبحث الرابع : فشل المشروع الإسرائيليّ في القدس ومكاسب طوفان الاقصى

المبحث الاول : التأثيرات المتبادلة لعملّية طوفان الاقصى على الكيان الصهيوني والمقاومة الفلسطينية

المطلب الأول : ارتدادات عملية طوفان الاقصى واثرها على للقضية الفلسطينية

في القضية الفلسطينية هناك خطان، خط صاعد يؤدي الى تجميع الجهد الفلسطيني، والعربي، والدولي للضغط على إسرائيل؛ كون المشروع الصهيوني وصل الى الجذور، مما يخشى معه بحق استئصال القضية الفلسطينية، بمعنى تصفيتها. والخط الثاني فهو خط هابط، وعند الخطين الصاعد والهابط تطرح قضايا مرتبطة بنفسية وثقافة الصعود والهبوط. ومن المعلوم أن نفسية الصاعد تستجمع آمال النصر وتسترخص كل التضحيات، وأما نفسية الهابط فإنها تتسم بالدوار وافتقاد الرمية، مما يسرع بالهبوط الى قاع الهاوية. ونستطيع تحديد العلاقة بين قضايا هذا الخطوط الثلاث؛ وهي الهدنة، والحوار، والحصار، والجذر المشترك فيها جميعاً هو فيما يبدو القضاء على منظمة حماس، والحصار العسكري والاقتصادي هو الأداة التي تقوم بها إسرائيل([1])

منذ سنة 1948 عاش الشعب الفلسطيني نكبة وصفت أنها الاكثر دموية في تاريخ البشرية، فالتهجير والقتل والإبادة التي تعرضت لها القرى والمدن الفلسطينية من عصابات الصهيونية، ماتزال تؤثر في الوجدان الإسلامي-العربي بسبب هول الكارثة الإنسانية التي طالت السكان الفلسطينين، لكن تبقى هذه النكبة حالة تاريخية حتمية لطفرات الحضارة في الاعتراف بحق الشعوب في الحريات العامة ، وواقعا يعايشه المجتمع العربي منذ وقت توطين البورجوازية لتتحكم بالجغرافيا الموروثة

[1]) بسام يعقوب عباس و حسين علي بحر , طوفان الأقصى الإرهاصات ا ولارتدادات الجيوسياسي, مجلة قضيا سياسية, عدد 76 , 2024, ص 366

عن الاستعمار الغربي، إذ تعمل الإمبراطورية الاستعمارية على استراتيجية الهيمنة والقوة الناعمة، بهدف تأسيس نماذج استعمارية تتحكم في مصائر الشعوب ومستقبلها.

إنّ الكيان المحتل يأخذ بعدا حضاريا؛ وفقا للسرديـة الغربية، حيث تتحكم بالجغرافيا العربية طبقة حاكمة تدربت بشكل دقيق في المخابرات الامريكية – البريطانية تبرر بها استحواذها اللاشرعي لانتقال السلطة، ومنذ تفعيل الخرائط الاستعمارية ظلت تلك النماذج عقبة بوجه الدفاع المجتمعات العربية عن المسألة الفلسطينية.

وفي سياق تاريخي استثنائي بقيت مقاومة الاحتلال بجميع أشكاله اللا حضارية تفرض نفسها على دول الطوق التي يعمل أربابها على استمرارية الحصار، ومثلما خذل أولئك الذين امتهنوا السلطة من لدن الإمبراطورية آمال شعوبهم في التغيير والديمقراطية، كان لزاما أن يتآمروا على مصير المسألة الفلسطينية، وأبرز صور ذلك التآمر تفكيك السلطة الفلسطينية وعدم تمكينها من تسيير مقدراتها المقدسة باعتبارها سلطة قائمة بحد البندقية والسلام، فأن تكون الأردن والمغرب وصيتين على المناطق المقدسة في فلسطين، ضمن اتفاقات الوصاية والتطبيع التي لا تعترف بها إسرائيل من حيث التغييرات والاقتحامات التي تطال المقدسات، لهو أمر بالغ الأهمية لإسقاط المعاهدات المؤكدة على استعادة الفلسطينيين حقهم التاريخي لرعاية بيت المقدس، فمن يملك السلاح دفاعا بنفسه وماله وشعبه عن الأقصى، هو الأحق بأن ترفع له رايات النصرة في وجه البورجوازية المتصهينة المتاجرة بالمسألة الفلسطينية ([1]).

ان القضية الفلسطينية هي الخطة الاساسية لرسم شرق اوسط جديد، كمنطقة تتناسب مع توجهات الدول الكبرى من جهة وتتلاءم مع الضعف الاقليمي من جهة اخرى، وعلى وقع الازمات المتتابعة سقطت انظمة اقليمية متهالكة ونشات على اخرى متصدعة معللةً ذلك اما الى اسباب أيديولوجية او منافع اقتصادية او مصالح دولية، وفي المقابل توجد قوى تبحث عن استعادة مكانتها الدولية والاقليمية والعالمية مستغلة الازمات الاقليمية والدولية لتنشئ قوة جديدة تتبنى سياسات معادية للقوى الامريكية وحلفائها وذلك لكونها مختلفة ايديولوجياً مع المحيط الاقليمي، فمنذ مطلع القرن العشرين باتت القضية اليهودية بتشكيلتها الصهيونية، إحدى أهمّ دوافع التوتر العالمي، ومن هنا شكلت العملية العسكرية "طوفان الاقصى " التي بدأتها الفصائل الفلسطينية في السابع من أكتوبر 2023 لحظة كاشفة للكثير من الديناميكيات الإقليمية والدولية والأدوار النسبية لكل طرف في هذه المعادلة، لترد على الواقع الدولي والاقليمي بنسق تصارعي([2]).

وقد شهدت المقاومة الفلسطينية في غزة في حالة من تطور وتصاعد وتيرة العمليات العسكرية لتتناسب مع سياسة الاستيطان والعدوان الإسرائيلي على أراضي وممتلكات وأرواح الفلسطينيين، كما أن تطور المقاومة النوعي والشكلي في العمليات وأدوات الهجوم والتشكيلات والتنسيق، عكست وجود آليات جديدة للعمل واستمرارية في الابتكار لتجاوز التحديات المفروضة من السلطة والاحتلال، وقد تزامنت هذه الظروف مع تحقيق المقاومة الفلسطينية لنوع جديد من التنسيق بين مختلف المناطق التي يوجد فيها الشعب الفلسطيني، وتعد هذه العملية نتيجة لسياسه القمع والتنكيل بالشعب الفلسطيني من قبل الاحتلال الاسرائيلي، فضلا عن سياسه الاستيطان وذلك من خلال انشاء الكثير من المستعمرات الإسرائيلية داخل الاراض ي الفلسطينية وتهويد القدس وتصاعد الاعتداءات اليومية من المستوطنين على المواطنين الفلسطينيين واستمرار المواجهات بين المقاومة الفلسطينية في قطاع غزه الضفة الغربية والقوات العسكرية الإسرائيلية، وقد اتسع الصراع

[1]) طوفان الأقصى.. سقوط جدار الإمبراطورية, متاح على الرابط ,
https://www.aljazeera.net/blogs/2023/10/14/ اخر زيارة 30/ 10/ 2024

[2]) بسام يعقوب عباس و حسين علي بحر , المصدر نفسه, ص 333

الفلسطيني مع استمرار وتصاعد ممارسات الاحتلال الاسرائيلي، وقد جرت عده جولات بين المقاومة الفلسطينية وإسرائيلية وذلك في اعوام 2008 و 2009 و 2012 و 2014 و 2018 و 2021([1]) .

المطلب الثاني : ابعاد الحرب الاسرائيلية على غزة

يتضمن هذا المستوى هدفين اساسيين الأول يعد بمثابة إجراء لاحق ومكمل للعملية العسكرية على غزة، والهدف الثاني عام يتعدى حدود الساحة السياسية الفلسطينية إلى المحيط الجغرافي العربي وهو مستوى تمهيدي لتحقيق اهداف البعد الجيو سياسي والمتمثل بان للأقصى أهميّة كبرى عند اليهود باعتباره موقع معبد القدس -حسب ادّعائهم- وللتوضيح أكثر:

1. الزعم الصهيونيّ بأنّها أرض المعاد: بات معروفاً أنّ مزاعم الحركة الصهيونيّة أنّ القدس أرض معاد اليهود وموطنهم بعد الشتات وأنّها عاصمة مملكة النبيّين داوود وسليمان... وما هذه إلّا مزاعم لا دليل عليها ولا حجّة، بل بات واضحاً أنّها ذرائع نسجتها المنظمات العالميّة السياسيّة لتتخلص من اليهود المنتشرين في أوروبا، وتطوّر الأمر لاحقاً لزرعهم غدةً سرطانيّةً وظيفتها حراسة مصالح الغرب في المنطقة. واختيرت فلسطين لجمع يهود الشتات من بين احتمالات شملت إفريقيا وكندا.

2. القدس في قلب المشروع الإسرائيليّ: استمدّت الحركة الصهيونيّة -التي أنشأت الكيان المحتلّ ابتداءً- اسمها من اسم جبل صهيون في القدس، وكان النشيد الوطنيّ الذي كُتب عام 1878م قبل إنشاء الكيان بـ70 عاماً يُختتم بكلمة «القدس». لذلك تُعدّ القدس حجر الرحى في المشروع الإسرائيليّ -نظريّاً- و لا غرابة، إذاً، في أن تكون القدس محلّ إجماع لدى مختلف أطياف المجتمع الإسرائيليّ، سواء من الناحية الدينيّة لدى التيّارات المتديّنة، أم الوطنيّة التاريخيّة المزعومة لدى التيّارات العلمانيّة.

من جانب اخر يرّكز البعض على الإنجازات التي أحرزها المخطط الصهيوني واحداً لحاقاً بالآخر على حساب العرب ومشروعهم الوطني والقومي. (فالحروب التي خاضتها إسرائيل ضد العرب، هي حروب حّققت إسرائيل بوسيلتها مغانم واضحة على صعيد مّد الرقعة الجغرافية، وإمكاناتها السياسية والعسكرية. وحتى الحروب التي بادر العرب الى بدئها ضد اسرائيل هي حروب إثارة أو تحريك لمسار المفاوضة الذيُ جمد قبل سنوات (الاتفاقيات العربية ـ الإسرائيلية والتي هي اتفاقات رّسخت القرار العربي الرسمي بالكيان الصهيوني، وحاصرت القضية الفلسطينية، أن لم تكن هّدتها، وأسقطت المقاطعة العربية لإسرائيل، السلاح الفاعل الذي اقتناه العرب طوال هذه أعوام، كما فصلت هذه الاتفاقيات بين العرب أنفسهم بحجة التزاحم على المواقع السياسية والمغانم الاقتصادية)([2])

ومن هنا يمكن القول يمثل الصراع العربي- الصهيوني واجهه (تاريخية، سياسية، اقتصادية، حضارية) أحد محاور الهيمنة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط أو التداعيات التي وسعت من نشاطها في المنطقة العربية على وجه الخصوص مما أدى إلى فقدان التوازن والعدالة في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية بين الأطراف: العرب والكيان الصهيوني، فمن هنا وضعت الادراة المركزية الأمريكية المنطقة العربية ذات المكانة الاستراتيجية الهامة في مقدمة التجاذبات السياسية والأمنية.و من هنا يمكن القول ان المنطقة العربية عدت منطقة صراع دائم تكاد لا تخلو مرحلة من أزمة عربية بحكم الفواعل الدولية غير العربية (أمريكا، روسيا، الصين، "إسرائيل"، تركيا، إيران)

[1]) فاضل حسن كطافة الياسري, عملية طوفان الاقصى وبداية زوال الكيان الصهيوني, مجلة اكليل للدراسات الانسانية, مجلد 5 عدد 1 , اذار 2024, ص 1

[2]) بسام يعقوب عباس و حسين علي بحر , طوفان الأقصى الإرهاصات ا ولارتدادات الجيوسياسي, مصدر سبق ذكره, ص371

مع غياب شبه تام لقوة عربية معينة، الأمر الذي منح للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها التقليديين (الكيان الصهيوني) التفّرد في امتيازات المنطقة العربية، وتمكين "اسرائيل" من مواجهة العرب من خلال إحداث الأزمات الداخلية، كالاحتلال الأمريكي للعراق ،2003 وثورات الربيع العربي ،2010 وظهور تنظيم داعش 2014 و من ثم استغلال تلك الظواهر في خدمة الولايات المتحدة والكيان الصهيوني([1])

المبحث الثاني : انعكاسات طوفان الاقصى على مستقبل الصراع العربي-الاسرائيلي

المطلب الاول : اشكالية العلاقات العربية - الاسرائيلية

لم تشهد العلاقات العربية – الإسرائيلية على مر تاريخها من تقارب لوجهات النظر، حتى في عمليات السلام من أوسلوا أو مدريد أو غيرها من الاتفاقات أي نوع من الوئام، فقد ظلت "إسرائيل" حتى الوقت الراهن إمام عدو معلن في منظور العرب، أو متخوفة عن إبداء الموقف الرسمي خشية من الغضب الشعبي والمواقف غير الرسمية للشعوب العربية، إلا أن هذا لا يمنع من احتمالية إحداث نوع من التقارب الفعلي، كون عملية التطبيع "الإسرائيلي" قطعت أشواط متقدمة لدى الدول التي ظلت متأرجحة الموقف حتى قيام عملية "طوفان الأقصى"، التي حركت ذلك الجمود في طبيعة العلاقات العربية – الإسرائيلية([2])

و من هنا تحضى العملية العسكرية المسماة بطوفان الأقصى والتي شنتها فصائل المقاومة الفلسطينية بقيادة حماس في صبيحة يوم 7أكتوبر 2023 على الاحتلال الصهيوني بأهمية استراتيجية كبيرة كان لها ابعاد محليه على كل من الفلسطينيين والإسرائيليين وقد كشفت العملية عن ضعف الإدارة الاستخباري والعملياتي للقطاعات العسكرية والامنية الإسرائيلية, اذ فاجأت عملية طوفان الاقصى اغلب الجماعات المهتمة بالصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، سواء القريبة منها أو البعيدة، من حيث نوع العملية وحجمها وتوقيتها ونتائجها على ارض الواقع ، وفتحت باب تساؤلات مهمة بخصوص قابلية المقاومة الفلسطينية في غزة على زيادة زخم و متطلبات نجاح هذه العملية، بالرغم من محاصرتها بريا وبحريا والجوي الخانق. و كانت تلك العملية هجوم مباغت لإسرائيل في عقر دارها، مما سبب لها الكثير من الخسائر المادية والمعنوية، فضلا عن فشل أجهزتها الأمنية والعسكرية في اكتشاف التحضير للعملية، وفي الاستعداد لمواجهتها. وهذا ما دفع إسرائيل للانتقام من القطاع، ولا سيّما بعد أن حظيت بدعم القوى الغربية والولايات المتحدة، سياسيًا وعسكريًا، مستغلّة ما حدث من قتل لمدنيين وأسر لبعضهم .

وحتى الان تعيش غزة وسكانها مرحلة الرد القاسي بسبب تبعات عملية طوفان الاقصى ، وإن المتابعة المستمرة والعقلانية للنتائج التي ترتبت على هذا العمل تجعلنا في طور تساؤل جوهري هو: هل كانت نتائج عملية «طوفان الأقصى» حققت اهداف القضية الفلسطينية أم العكس؟ صحيح أن الشيء الذي تحقق للقضية الفلسطينية بعد ما حدث في 7 أكتوبر 2023 هو أنه جعلها في واجهة الاهتمامات الاقليمية و الدولية وبالأخص دوائر اتخاذ القرار في اغلب دول العالم بعد أن كانت «مهمشة»، وثبت للعالم أنه لا بديل عن حل الدولتين الفلسطينية والإسرائيلية، لكن الثمن الذي دفعه أهل غزة كان دمويا وصعبا وباهظاً؛ فلقد حل بغزة وأهلها المدنيين العزل ما حلّ من الدمار للبنى التحتية والإبادة الجماعية ؛ حيث عاش سكان غزة أوضاعاً مأساوية وإزهاق أرواح وتدميراً لمساكنهم وللبنية التحتية لقطاع غزة من مستشفيات ومدارس ومساجد وطرق وإبادة جماعية وتهجيرهم من أرضهم ومنع كل مقومات الحياة لهم من ماء وكهرباء وغذاء وأدوية ووقود

[1]) صباح محمد صالح, الهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط: العرب والكيان الصهيوني بعد عملية طوفان الأقصى, مجلة تكريت للعلوم السياسية, عدد 35, 2024, ص60

[2]) صباح محمد احمد, مصدر سبق ذكره, ص 69

واتصالات والمجازر البشرية التي أوصلت عدد القتلى إلى أكثر من اثني عشر ألف قتيل دون أن تفرق بين أطفال وشيوخ ورجال ونساء، ولذلك لا بد أن يعتبرها القانون الدولي «جرائمَ حرب» يحاسب عليها من ارتكبها ويضع حلاً شاملاً للقضية الفلسطينية تُلزم إسرائيل به وإلا تبقى القضية في دائرة العنف والعنف المضاد مادام الشعب الفلسطيني قد بقي دون دولة ذات سيادة معترف بها وتكون هناك جهة تمثل الشعب الفلسطيني وهي منظمة التحرير الفلسطينية وأي تنظيم فلسطيني آخر لا يقبل بذلك يتحمل مسؤوليته.

إن عملية طوفان الاقصى حققت كثيراً من المكاسب للجانب الإسرائيلي حيث وجدت لها تعاطفاً دولياً في البداية من كثير من الدول بالشكل الذي استغلت معه هذا التعاطف كفرصة لها للهجوم الدموي على غزة بهدف تغيير الواقع الجيوبولوتيكي لغزة الجريحة؛ حيث لا يتوقع بعد الحرب أن تحكم حركة حماس قطاع غزة في ضوء ما يجري على الواقع، بسبب تفكك اغلب مؤسسات الحكومة في غزة ومن تم تغيير لطبيعة التركيبة السكانية لغزة بحيث سيكون إعادة بناء غزة اشبه بالعملية المستحيلة ومن جانب اخر تتحمل حركة حماس جانب من المسؤولية في هذه الاحداث التي جنت على أهالي غزة بالقتل والدمار والابادة الجماعية ([1]).

وعليه، عدت تلك عملية طوفان الاقصى بمثابة خطوة هامة واستجابة فاعلة هدفا للخلاص من الاحتلال الغاشم ، ولمواجهة ما يدبر لمخطّطات صهيونيّة تستهدف تشويه القضيّة الفلسطينيّة، وإنهاء الحصار المنهك ضد قطاع غزّة، والدفاع عن الحقوق الوطنيّة، وتحقيق الاستقلال والحريّات العامة كباقي شعوب العالم، والمطالبة بحقّ تقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينيّة المستقلّة وعاصمتها القدس الشريف. وتأكيداً لذلك، صرّح رئيس المكتب السياسيّ لحركة المقاومة الإسلاميّة (حماس) السابق؛ إسماعيل هنيّة رحمه الله، قائلاً: «لقد حذّرنا العالم والحكومة الإسرائيليّة من المساس بالمسجد الأقصى والقدس، وقلنا لهم لا تلعبوا بالنار، ولا تتجاوزوا الخطّ الأحمر، ولكنّهم صمّوا آذانهم وأعموا أبصارهم». وأضاف: «لدى المقاومة معلومات هامة أنّ الاحتلال سيفرض السيادة الكاملة على المسجد الأقصى المبارك، وسيستمرّ في العدوان والاستيطان والاعتقالات والحصار» .

المطلب الثاني: المواقف الاقليمية والدولية تجاه معركة طوفان الاقصى

كشفت عملية طوفان الأقصى عن الكثير من خفايا العلاقات العربية – الإسرائيلية، ووضعتها على المحك وأمام الملأ لتصبح مادة إعلامية متداولة على العلن، فهي بالوقت الذي انها كشفت عن وجود العلاقات البينية، إلا أنها أحدثت منعطفاً أمنياً وسياسياً في طبيعة تلك العلاقة، أبرزها أانتقلت إلى حالة العرب المعلنة ضد غزة , وهو ما صرح به نتنياهو بالتزامن مع قيام العملية، وتوالت الأنباء عن تضامن العرب مع "إسرائيل" عكس ما كان مرجو أو متوقع لتضامنها مع غزة، و تعد هذه نقطة تحول إيديولوجي خطير في مسار الصراع العربي – "الإسرائيلي."

ومن هنا عرفت عملية "طوفان الأقصى" بالعملية العسكرية المسلحة التي أطلقتها حماس في رداً على الانتهاكات والممارسات الإرهابية التي مارسها الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني المتراكمة منذ سنوات طويلة([2])

وبخصوص المواقف العربية الرسمية فهي دون استثناء لم تكن بالمستوى المطلوب، بل وصل بعضها إلى حد التخلي عن القضية الفلسطينية، مما يمكن أن نضع جملة استنتاجات أو سيناريوهات محتملة حول مستقبل العلاقات العربية – الصهيونية في ظل سطوة الهيمنة الأمريكية بالمنطقة

[1]) هل «طوفان الأقصى» هو الذي أغرق غزة؟, متاح على الرابط الالكتروني (https://alwatannews.net/Opinion/article/1092973) اخر زيارة 2024/11/5

[2]) صباح محمد احمد, مصدر سبق ذكره, ص70

بالتزامن مع أحداث طوفان الأقصى, ومن أبرز ملامح تلك النتائج بين الطرفين العربي والأمريكي _ الصهيوني:

1 - بالرغم من عد المحللين بسن مواقف واقعية في التراجع عن دعم الفلسطينيين كالسعودية في تحقيق نوع من التقارب السعودي _ الصهيوني ,إلا أننا ننظر بسن هذه المواقف قد ينم عن ضعف وهزالة القوة العربية، ولم تنم عن واقعية كما يراد تفسيرها.

2- بالرغم من توتر صفقات التطبيع مع الكيان الصهيوني، إلا أن هذا لا يعني توقفها نهائياً، بل هناك مرحلة جديدة خلقتها الأحداث سوف توفر الأرضية المناسبة لإتمام صفقة التطبيع مع السعودية ودول أخرى متحفظة في تلك العلاقة.

3أ-عادت تلك العملية الهيبة للانتفاضة الفلسطينية، وجعلت من المقاومة الفلسطينية رقماً صعباً لا يمكن للجيش الإسرائيلي بعد اليوم التحرك بحرية في قطاعات غزة والمناطق العربية الأخرى.

- 4-كشفت عملية "طوفان الأقصى" عن أخفاق الجيش "الإسرائيلي" في حماية قواعده ، كما أظهرت هشاشة تلك المنظومة الأمنية وأسطورة القبة الحديدية بسنها مجرد دعاية إعلامية أمام إصرار استمرار عمليات طوفان الأقصى ومقاومتها للاحتلال.

5- لا يخفى لأحد استمرار الموقف الأمريكي والهيمنة الأمريكية لصالح تغليب كفة الكيان الصهيوني في وجه الأقطار العربية مجتمعة بعد تفكيكها، واضعافها، وجعلها مواقف ودول قطرية فردية وليس مجتمعة([1])

المبحث الثالث : نتائج عملية طوفان الاقصى وابعادها المستقبلية

المطلب الاول : على الصعيد الاقليمي

نجحت عملية «طوفان الأقصى» في توسيع جبهات الدفاع ضد الكيان الصهيوني جبهات داخليّة وإقليميّة ودوليّة, فضلا عن انها أحدثت تبدّلا تاريخياً بناءً على فهم ضرورات التاريخ، والاستفادة من دروسه، ولا سيّما بالاستناد إلى ميزتَين هامتين:

1. تعدّد الجبهات القتالية : فمن جنوب فلسطين، يوجد مقاومة حماس والجهاد الإسلاميّ والجبهة الشعبيّة وباقي فصائل المقاومة الباسلة، وتضحيات نسائها وأطفالها، ومعاقل أنفاقها وتخطيطها البارع البعيد النظر. ومن الشمال نجد التشكيلات المتنوعة لحزب الله بصواريخه ومسيّراته وحنكته التاريخيّة المشهود لها على ارض الواقع ودورها في الكشف عن وسائل الاستكشاف والتجسّس الإسرائيليّة العالية الدقة.

2. العمق الاستراتيجي الجغرافي: هو مختلف في المواقع والقواعد حيث نلاحظ:

أ. دولة سوريا القريبة ودورها في الإمداد والتدريب والتسليح، وهي التي تتلقّى الضربات العسكرية تلو الاخرى عقاباً لها على إسنادها المقاومة العربيّة الباسلة.

ب. دولة إيران الأبعد من التماس المباشر مع الجبهات القتالية، وهي تملك أوراقاً حاسمة في دعمها للمقاومة البطلة، من حيث الامداد والتسليح والتدريب، مع امتلاكها ميزة بُعدها النسبيّ عن طائرات العدوّ الصهيوني. لكنّها هي الأخرى تواجه وتتحمّل عقوبات قاسية من قبل المنظمات الدولية بسبب موقفها من قضية فلسطين ومقاومتها الباسلة.

ج. أمّا دولة اليمن، الداعمة لعملية طوفان الأقصى الكبرى، فنلاحظ أنّ القيادة في تنظيم أنصار الله قد نظرت إلى خريطة العملية وتصرّفت على أساسها، لتصيب الاهداف الاساسيّة وتمنع امدادات العدوّ بمظاهر اللوجستة والعسكرية، وتستند دولة اليمن إلى موقعها الاستراتيجيّ عند مدخل أحد أهمّ خطوط سير التجارة العالميّة وهو البحر الأحمر، بهدف ضرب و تطويق ومحاصرة العدوّ الصهيوني الغاشم.

[1]) صباح محمد احمد, مصدر سبق ذكره, ص71

د. أخذت المقاومة العراقيّة تدخل في المعركة بإسهام يبشّر بقوة ضاربة مستمرة وذلك لقربها من القواعد العسكرية ذات الإسناد الأمريكيّ للعدوّ الصهيونيّ، في العراق وسوريا.

ومع ميزتَي تعدّد الجبهات والعمق الاستراتيجيّ، اللتين فتح بابهما «طوفان الأقصى»، يبقى الكلام عن الداخل الفلسطينيّ، فالضفة الغربيّة تبدو على طريقها إلى التحوّل، والواقع يؤشر انها قد اتجهت إلى ساحة قتال ضارية ضد العدوّ الإسرائيليّ, ويكفي في معيار نجاح العمليّة أنّها أعادت القضيّة الفلسطينيّة إلى الواجهة، وإلى مركز الاهتمام الدوليّ، كـ«شرط لأيّ تسوية إقليميّة»؛ والحديث عن تقدّم نحو تسوية إقليميّة من دون تنازلات إسرائيليّة

ه- افضت عملية طوفان الاقصى إلى كسب وتعاطف الدعم العالميّ للقضيّة الفلسطينيّة، بحيث أعلنت دول عدّة الاعتراف بالدولة الفلسطينيّة. وبعد مضي اكثر من عام على حرب الإبادة الجماعيّة التي ارتكبها الكيان الصهيوني المجرم على قطاع غزة الجريح، نلاحظ ان حكومة حماس هي المتحكمة في القطاع، ولا يزال قادتها يعملون ويحتجزون عشرات الجنود الإسرائيليين ممّن هم على قيد الحياة. وهذا على الأقل مؤشر يُسرّع العدّ التنازليّ لزوال الكيان .

المطلب الثاني : على الصعيد الدولي

بالرغم من أن العلاقات الأميركية الإسرائيلية شهدت خلال الشهور التي سبقت عملية الطوفان، توترا متعاظماً وصل الى مستوى القطيعة، لكنها استردت قوتها وصلابتها حال بدء العملية، وأعادت العلاقات الامريكية الاسرائيلية، كون إسرائيل لا تستطيع خوض الحروب بدون الولايات المتحدة، فهناك تحالف استراتيجي متعلق بالمحاور في المنطقة، وهناك اتفاق على الأمور الجوهرية بينهما. هذه العلاقة لها أسبابها، وأُسسها التي اختلف الباحثون في تفسيرها، وتتجّلى هذه العلاقة في أشكال عّدة من بينها التعاون المكثّف على المستويين الحكومي والشعبي ولا سيما التعاون الاستراتيجي، والدعم الأمريكي السخي لإسرائيل في مختلف المجالات، وأيضاً الانحياز الأمريكي التام لإسرائيل في الموقف من القضية الفلسطينية([1]) ,

ولنا ان نتابع الوقائع التالية:

أولا: عملية التوافق الكبير بين النخب السياسية الحاكمة في اسرائيل وفق الاهداف التالية:

1- كسر قوة المقاومة الفلسطينية خاصة في قطاع غزة كبداية لمنع تطور جذور الحركة في بيئة الضفة الغربية المحتلة.

2- التحذير من تأسيس كيان فلسطيني والذي تقتصر صلاحياته على "إدارة ذاتية " في الشأن الداخلي " وتقودها شخصيات ديمقراطية ذات تربية براغماتية ترضي الجماعات الفلسطينية،

3- مواصلة البحث لأيجاد تطبيق غير خاسر لقاعدة "الدولة اليهودية" عبر التخلي عن "جزء من الرقعة الجغرافية الفلسطينية ذات الأكبر عدد من السكان".

4- تطوير سياسة التطبيع الاسرائيلي -العربي على اساس تحويل الصراع من اصوله الصفرية الى توجهاته اللاصفرية، اذ كلما اتسعت دائرة الصراع غير الصفرية قلت مساحة النزاع العربي الصهيوني ، فضلا عن هذا التحويل له ابعادا ذات اصول سياسية و اجتماعية واقتصادية وعسكرية وثقافية على المد البعيد.

5- طبيعة الكيان الفلسطيني خصوصا إذا كسبت التأييد العالمي لتأسيس دولة فلسطينية-حتى بتعديلاتها الصهيونية- الامر الذي يفسح مجالا لصراع داخل المجتمع الاسرائيلي، ولك لكون ان القبول بدولة فلسطينية يفضي الى خلافات بين القوى الاسرائيلية، كما ان عدم القبول بهذا الامر سيخلق مآزقا مع المجتمع الدولي.

ثانيا: الجانب الفلسطيني: تبدو ادوار الجانب الفلسطيني في الصراع الحالي:

[1]) بسام يعقوب عباس وحسين علي بحر, مصدر سبق ذكره, ص 382

1- مقاومة قوية وفاعلة مستمرة على الرغم من الحجم الكبير للخسائر البشرية والبنية التحتية فضلا عن الشبه التام لأنعدام المساعدات الانسانية –وفقا لتقارير المنظمات الدولية - الامر الذي يشكل ضغطا كبيرا على المقاومة بصورة مستمرة.

- جغرافية المقاومة الاقليمية: وهي عدة محاور:
- جانب المقاومة هو المدافع الاقليمي الوحيد والمتفهم لمعايير المشهد العام للمسرح الاقليمي، لكنه يفشل عن فتح افاق الخروج من المآزق الاستراتيجي الحالي.
- المساندة الضمنية من جانب الشارع العربي، وهي مساندة تقتصر على الجانب المعنوي وفقا طريقة دور المشاهدين من البعيد.
- محور " دول ما وراء الستار" والذي يضم اكثر الأنظمة السياسية العربية التي تحاول بصورة او بأخرى اجتثاث المقاومة الفلسطينية وقادتها ، وهذه الانظمة تخطط بتنسيق خفي اسرائيل لتحقيق ذلك.

ثالثا: الجانب الدولي: وهنا نجد ايضا اطرافا اربعة:

- القوى الدولية الفاعلة، باستثناء الولايات المتحدة الامريكية المدافعة عن حكومة اسرائيل بصورة متكررة دائما ، كون أوروبا اصبحت اقل دفاعا من السابق ، ومثال ذلك امتناعها عن مساندة الولايات المتحدة في مشروع قرار تبنته دولة الجزائر في اجتماعات مجلس الامن المتكررة والذي اكد على وقف إطلاق النار, ونلاحظ هنا توجهات دولة الصين التي اكدت في مجلس الامن الدولي وفي مرافعتها امام محكمة العدل الدولية بدفعها عن "حق الفلسطينيين " في المقاومة المسلحة ضد الاحتلال، بالعكس من الموقف الذي لم تظهره اكثر الدول العربية بدفاعها عن المقاومة، ومثال ذلك نلاحظ وزير خارجية مصر الذي قد حرض المجتمع الدولي ضد المقاومة الفلسطينية الامر الذي يتفق مع توجهات رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو الهادفة الى الابادة الجماعية.
- موقف دولة روسيا الاتحادية ، انه وعلى الرغم من مساندتها لوقف إطلاق النار ودعواتها للفصائل الفلسطينية للاجتماع في موسكو لتوحيد المواقف, الا نها تغض النظر عن دور الاعلام الغربي عند تذكيرها بما يجري سابقا و حاليا في حربها ضد دولة اوكرانيا.
- القوى الدولية الأخرى: انها تحاول التعاطف مع المدنيين الفلسطينيين، اي غلبة التعاطف الانساني ولكن دون الدفع بإجراءات سياسية تقلل من الازمة باستثناء بعض المواقف لدول جنوب افريقيا والبرازيل وكولومبيا وبوليفيا وبعض الدول الافريقية والآسيوية,
- استمرار التعاطف من جانب الرأي العام الدولي مع المدنيين الفلسطينيين وبشكل يشير الى تزايد هذا التعاطف بالضد من التعاطف مع اسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة الامريكية ومثال ذلك المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، نجد اتجاهها الاعظم هو أقرب لموقف الجمهور الدولي عند التعاطف مع المدنيين الفلسطينيين ومقاومتها .

المطلب الثالث: في ردود الفعل الإقليمية والدولية

إ ن رّد الفعل الإقليمي، والدولي، يدّلل على أ ّن المسألة الفلسطينية، ستكون في مركز الصراع الذي تشهده المنطقة، اذ عندما عملت الولايات المتحدة لتشكيل رأي عام للتضامن مع إسرائيل من جانب، ويجّرم عملية حركة حماس العسكرية من جانب آخر، وفي مجلس الأمن، برز الموقف المتساوي، والمتوازن لكلا الجانبين، الصين وروسيا. أي الولايات المتحدة ـ وأثر الضغوط المتنافرة التي تقابلها، تريد أ ّن تحّقق نوعاً من الاتزان أو الاعتدال. فهي من جهةٍ تسعى إلى الاستجابة لموقف أوساط اليسار الأميركي المؤازر للفلسطينيين، ومن جهةٍ ثانية، تحافظ على مواقفها الجوهرية والأساسية المساندة والمناصرة للكيان الإسرائيلي.

ومن الجدير ذكره هنا بأ ن الرئيس الأمريكي السابق جو بايدن قد حذر إسرائيل من الانسياق إلى الغضب على نحو أعمى، مشيراً إلى أن الولايات المتحدة ارتكبت أخطاء بعد أحداث 11سبتمبر 2001بقوله: "أحذر من هذا في حين يعتمل فيكم كل هذا الغضب، لا تدعوه يسيطر عليكم.. كنا غاضبين بعد أحداث 11سبتمبر في الولايات المتحدة، لكننا حين كنا نسعى للانتصاف وحصلنا عليه، ارتكبنا أخطاً ء أيضاً". وأضاف، أن "ما حدث في إسرائيل [ويقصد عملية طوفان الأقصى] يشّكل ضعفا لما حدث في 11سبتمبر.

وفي المرحلة المقبلة، قد يتّسع الشرخ القائم بين المواقف الأميركية والإسرائيلية المرتبطة بالعمليات، لكن غالب الظن أن يبقى الدعم الأميركي الثابت لإسرائيل على حاله([1])

ولكن هل حقق الفلسطينيون غايتهم من الهجمات على المقرات والمستوطنات (الإسرائيلية)؟ وهذا ما يطرح التساؤل حول المكاسب الفلسطينية من الحرب؟ وتتضمن الآتي:-

- تدويل القضية الفلسطينية. إن الحرب الاسرائيلية على غزة اعادت القضية الفلسطينية إلى الواجهة وعملت على تدويل القضية الفلسطينية كما اسهمت في تقويض وارباك مشروع التطبيع الإسرائيلي العربي وافقدته جدواه وقيمته في ظل تعاطف شعبي عربي واقليمي ودولي بل سببت أحراج لبعض الحكومات العربية ومواقفها الرسمية المعلنة وبعضها غير المعلن تجاه قضية التطبيع مع (حكومة إسرائيل) في الاراضي العربية المحتلة في فلسطين.

2. **توحيد صف حلف الممانعة في فلسطين والمنطقة**: اذ تشهد المنطقة استراتيجية تصفير وتسوية الخلافات حماس إلى تحقيق أهداف استراتيجية بدرجة أولى، وتقاطع بين أجندات كل من الطرفين، وأيًا كان التحليل الاستراتيجي لما حدث، فإنّه -أي الهجوم- أعاد ترصيص حلف الممانعة في المنطقة، بعد حدوث الانقسامات والخلافات بين حركة حماس والحركات الاخرى، على إثر الأحداث في سوريا، منذ العام 2011فحتى وقت قريب كان لحزب الله مشاكل جدية مع حماس التي يتقاطع معها ايديولوجيا التابعة لجماعة الاخوان المسلمين، والامر ينطبق مع إيران، فبقدر دعم الاخيرة للقضية الفلسطينية الا أن حليفها الاساس هو "حركة الجهاد الاسلامي" لقد باتت هذه المشاكل والتقاطعات اليوم في مهب الريح بعد أن توجهت قيادات كل من حماس والجهاد الاسلامي الى لبنان لزيارة السيد الشهيد حسن نصر الله، وهو ما يوضح وحدة الهدف رغم التقاطعات والتباينات القيمية.

3 - **شحن الراي العام العالمي**: أن المجازر التي ارتكبتها السلطات الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني في غزة ساعد على شحن وتأجيج الرأي العام العالمي (عربياً واقليمياً ودولياً) تجاه القضية الفلسطينية واسقاط الضوء عليها واعادتها إلى الصدارة وهذا افضى بشرعية ومشروعية القضية الفلسطينية ومقاومة الشعب الفلسطيني من جهة ، وافول شرعية ومشروعية التطبيع مع (إسرائيل) من جهة اخرى ما احرج بعض حكام التطبيع من العرب.

4. العقيدة واستراتيجية المواجهة. إن الهجمات التي شنها الفلسطينيون ضد الصهاينة اثبت اعتماد استراتيجية حرب (شبه الهجينة) وهي استراتيجية تجمع بين القوى غير النظامية والسيبرانية، بيد أن قراءة وتحليل الحروب المعتمدة اليوم في الشرق الأوسط (رباعية المقاومة العربية) تثبت وجود تبدل واضح في استراتيجيات المواجهة سواءاً مع(إسرائيل)، أم القوى الحليفة له في المنطقة لاسيما الولايات المتحدة الامريكية وهي اعتماد الحرب الهجينة، وهو ما يضع مؤشرات لبداية أفول القوى التقليدية على مستوى المواجهة، كما يعطي مؤشراً لوجود مخ َ طط ومنظم خارجي لآلية واستراتيجية المواجهة بل وداعم مادي على مستوى التجهيز والتسليح والتدريب وهذا يعني تغير على مستوى العقيدة واستراتيجية المواجهة .

[1]) بسام يعقوب عباس وحسين علي بحر, مصدر سبق ذكره, ص284

المبحث الرابع : فشل المشروع الإسرائيليّ في القدس ومكاسب طوفان الاقصى

المطلب الاول : المسارات المحتملة للحرب وانعكاساتها على المستويين العربي والدولي

ان إقليم المشرق المتوسطي (المنطقة العربية) دخل برمّته منذ طوفان االقصى في 7 تشرين الأول/أكتوبر لعام 2023 مرحلة تاريخية كبرى جديدة ستحدّد مصيره لسنوات عدة مقبلة، والأهم مصير "المعركة الأبدية" من أجل فلسطين .

ونسارع فورًا أيضًا إلى حشد أسباب هذه الخالصة، والتي تتجاوز بأشواط مسألة المعارك العسكرية الراهنة الدائرة الآن في غزة على رغم أهميتها القصوى:

الأول: علني، متبلور، وواضح المعالم، يستند إلى تحالف استراتيجي واقتصادي وحتى ثقافي (التطبيع الكامل بين "إسرائيل" والسعودية وبقية دول الخليج والأردن والمغرب، برعاية وإشراف الولايات المتحدة) ويستند أساسًا إلى الاعتراف الخليجي، الضمني والعلني، بحق اليهود التاريخي في فلسطين وبالتالي بحقهم في تهجير من تبقى من الفلسطينيين .

والثاني، مشروع إقليمي تحرّري لا يزال غير متبلور و غير واضح المعالم والأطراف، لكن تجلياته الشعبية أكثر من جاهزة لحمله على الأكف في كل منطقتنا, لكن، وفي الوقت نفسه، فإن المحور الثاني بقيادة إيران وعلى رغم إنجازاته الراهنة، لن يستطيع بمفرده إقامة نظام إقليمي جديد و تركيا التي حاولت ذلك هي أيضًا منذ 2011 ،وقبلها مصر الناصرية، حتى ولو كانت مدعومة من روسيا والصين. وهذه المسألة، أي عجز أي طرف في المثلث الذهبي عن التفرّد في إقامة نظام إقليمي، ليست مسألة راهنة بل تتعلّق بعائق القوة الإمبراطورية الأميركية وحدها([1])

وردا على عملية طوفان الاقصى تسعى إسرائيل إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أ-خلق انقسامات داخلية تمهيداً لتدمير المقاومة الفلسطينية. إذ أن تأكيد (إسرائيل) أنها تستهدف حماس دون غيرها من الكتائب الجهادية الفلسطينية أنما هو محاولة لأحداث انقسام فلسطيني داخلي على المستوى العسكري لإضفاء الفتنة والانقسام والتحلل داخل القوى المناهضة (لإسرائيل) على غرار الانقسام السياسي بين فتح وحماس أو بين حماس وحزب الله في لبنان الذي من شأنه يجهض القوى المناهضة للوجود الصهيوني في فلسطين.

ب- تدمير القدرات العسكرية لمواطن القوى في فلسطين, لاسيما حماس وانهاء سيطرتها على القطاع، إذ ترى(إسرائيل) أن تحقيق اهدافه لاستراتيجية في فلسطين وحماية والحفاض على مصالح حلفائها الغرب في المنطقة يقتضي أولا تدمير مواطن المقاومة في فلسطين لاسيما في غزة (حماس)، فحماس هنا هدف ،أما الغاية فهي الأبعاد الجيوستراتيجية للحرب على غزة، بيد أن (إسرائيل) ستجعل من الحرب على حماس في غزة نموذج سيعتمده مستقبلاً مع أطراف القوى المناهضة (لإسرائيل) والهيمنة الامريكية لاسيما حزب الله في لبنان، والحوثيين في اليمن، وبعض الجماعات المسلحة في سوريا والعراق([2])

وفي الوقت الذي حاول فيه الصهاينة بناء الجدار العازل عام 2003م، بالشكل الذي تطوّرت معه العمليّات الفدائية من القدس نفسها ومن المقدسيّين أنفسهم؛ كون ان التجربة أثبتت أنّه لا يمكن فصل المدينة عن محيطها وواقعها، كما لا يمكن إغفال أنّ الفلسطينيّين ما زال الأغلبيّة منهم في القسم الشرقيّ من القدس، كون نسبتهم تصل إلى 40% من مجموع السكّان في شطرَي المدينة كلّها، في الوقت الذي لا يشعرون بأيّ انتماء قانونيّ لهذا الكيان المزعوم. الامر الذي يؤشر بطلان مشروع

[1]) سعد محيو , معركة طوفان الأقصى قراءة في التحديات وسرديات الصراع والأدوار المساندة, حلقة نقاشية, المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق , كانون الأول 2023, ص 14, 15

[2]) مثيم عنيدي, مصدر سبق ذكره,339

ضمّ الأرض من دون ضمّ السكّان الذي تمّ عام 1967م. كما أنّ كلّ ما مرّ فيه الفلسطينيّون مدار العقود الماضية لم يكن يؤدّي في النهاية إلّا إلى انفجار المجتمع المقدسيّ برمّته ومثال ذلك الانتفاضة المسماة بالأقصى عام 2000م، و«هبّة القدس» عام 2015م، وكلّ ما لحقهما من أحداث في 2017م، و2019م، و2021م؛ وصولاً إلى «طوفان الأقصى» عام 2023, والمحصّلة أنّ المشروع الإسرائيليّ في القدس يبدو صعب النجاح كون إن دعوات اليمين المتطرّف في «إسرائيل» لأحداث نكبة جديدة غير صالحة هذا الوقت وهي مجرد أوهام، تختلف تماماً عمّا كان يحلم به. وعند ذلك، لن يجد الكيان الصهيونيّ بدّاً من أن يفعل في القدس ما فعله سابقاً في غزّة؛ فلا يجد أمامه إلّا الخروج من منطقة شرقي القدس على الأقلّ، وبأيّ شكل، لإنقاذ وجوده ([1]).

لا تستطيع الحكومات والدول الاستغناء عن الحاضنة الجماهيرية الشّعبية -حتى في أكثر الدول استبداداً- نظراً لأهمية الرأي العام في تدعيم وتأييد سياساتها، أو على الأقل لرغبتها في تحييد المواقف المعارضة أو المعادية لها، إذ يُكسبها تأييد الرأي العام نوعاً من الشّرعية -في نظرها- تجاه ما تتخذه من قرارات وسياسات عامة وإن كانت شكلية فتلجأ هذه الحكومات إلى عملية التأثير في الرأي العام عبر ذراعها الإعلامي المؤدلج وقنواتها المُسَيّسة من خلال برامج ممنهجة تَستخدِم فيها فن وعلم نَفْسِ الجمهور وهو ما يُسمى في الإعلام الغربي بعلم نفس الاتصال الجماهيري "Mass Communication Psychology"؛ وهي عملية مُمنهجة شديدة التعقيد والتركيب، وتحتاج لبرامج عمل مشتركة وجهود متضافرة بين مراكز أبحاث مختصّة في علم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا ودوائر صنع القرار السياسي والإعلام.

ومن هنا يمكن القول أرادت "إسرائيل" من هذه الحرب أن تحقق لها أهدافً ا تكتيكية، وأخرى استراتيجية، غير أن "سحق حماس وتدميرها" برز كهدف يغلب عليه الغضب الذي أشعلته عملية "طوفان الأقصى"، ولئن بدأت "السيوف الحديدية" حربً ا للانتقام والتشفي لما لحق بصورة "إسرائيل" الداخلية والخارجية من تهشم جراء الطوفان، فإن الأميركي "مصحح الضرب الإسرائيلي" بذل جهده إيقاظ "الوعي" في "إسرائيل" بأهداف الحرب التكتيكية والاستراتيجية([2])

المطلب الثاني : - التغيرات التي أحدثها طوفان الأقصى حتى الآن:محليًا وعالميًا

لا شك بأن هناك العديد من الانجازات الاستراتيجية للمقاومة من حرب طوفان الأقصى التي تضرر جيش الاحتلال من خلالها بشكل كبير، وفيما يأتي بعضًا من أهم هذه المكاسب:

- اضعاف هيبة الاحتلال: تسببت الخسائر الكبرى التي تعرضت إليها دولة الاحتلال الاسرائيلي في معركة طوفان الأقصى بكسر واضعاف قوتها هيبتها؛ في الوقت الذي تعد جيشها جيشًا لا يقهر ولا ينكسر، إلا أن المقاومين الابطال تمكّنوا من مباغتته وأسر عدد كبير من الجنود والضباط.
- تغيير طبيعة المستوطنات الصهيونية: نتيجة لعملية طوفان الأقصى المباركة اصبح من الواضح تجنب اكثر المستوطنين في مناطقهم العودة إليها؛ نظرًا لضعف جيش الاحتلال وغياب قدرته على حمايتها، الامر الذي زاد من الإرهاق لدولة الاحتلال.
- ملف الأسرى: بما أن حركات المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة تمكنت من أسر عدد جنود كبير للاحتلال الصهيوني؛ فإنها تستطيع الاعتماد على هذا العدد من الأسرى لتحرير الأسرى الفلسطينيين داخل سجون الاحتلال ([3]).

---

[1]) دعاء عبد الله, لماذا طوفان الأقصى؟ , متاح على الرابط, https://mail.baqiatollah.net/article.php?id=12358 اخر زيارة 2024/10/26

[2]) محمد حسب الرسول, معركة طوفان الأقصى قراءة في التحديات وسرديات الصراع والأدوار المساندة, مصدر سق ذكره, ص 19

[3]) ما هو طوفان الاقصى, متاح على الرابط , https://misbar.com/qna/2023/10/15/ اخر زيارة 2024/11/18

●في ظل الوضع الصعب الذي تواجهه القضية الفلسطينية فلسطينيًا وعربيًا ودوليًا، جاءت عملية طوفان الأقصى لتعيد فرض واقع جديد في ما يتعلق بهذه القضية على الساحات الفلسطينية والإسرائيلية والعربية والعالمية.

● **فلسطينيًا**، أعادت عملية طوفان الأقصى فرض القضية الفلسطينية كقضية محورية على الصعيدين العربي والعالمي، وأعادت حقوق الشعب الفلسطيني إلى يد المقاومة الفلسطينية بعدما كانت هذه الحقوق عرضة للمساومة والتنازل والتهميش على أيدي السلطة الفلسطينية والنظام الرسمي العربي، والدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة التي تدير الملف الفلسطيني على الصعيد الدولي. وإذا لم تؤدِّ هذه العملية وحرب الإبادة الجماعية التي أعقبتها في غزة إلى إلغاء مشاريع التطبيع العربية مع إسرائيل" فهي ستلجمها وتحدّ من توسعها على الأقل؛ كما أكدت هذه العملية تمسّك الشعب
الفلسطيني بخيار المقاومة في مواجهة الكيان الصهيوني الرافض ألي تسوية تعيد للشعب الفلسطيني ي جزء من حقوقه([1])

● **إسرائيليا**، أدى طوفان الأقصى والحرب التي تلته إلى إحداث إصابات خطيرة في بنية الكيان الصهيوني المادية واللامادية وفي أمنه الوجودي؛ فانكشفت هشاشة هذا الكيان وتآكلَ تفوُّقه الأمني والعسكري واستقراره السياسي والاجتماعي، وعجزه عن الدفاع عن نفسه بمفرده، فهو يستمد قوته وشروط بقائه من كونه كيانًا وظيفيًا في النظام الإمبريالي العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة. كل ذلك ساهم في فقدان رعايا هذا الكيان من اليهود الثقة بدولتهم العبرية، وبمؤسستها العسكرية، وبمقولة المجتمع الآمن المحمي، كما يكشف زَيفُ سردية هذا الكيان وصورته على مستوى العالم. وقد أظهرت حرب الإبادة الجماعية التي يخوضها الجيش الإسرائيلي ضد غزة الوجه العنصري الهمجي لـ "إسرائيل" التي تسعى للقضاء على الشعب الفلسطيني، إما بالتهجير وإما بالقتل، وهي سياسة أخذت شخصيات حكومية "إسرائيلية" تعبّر عنها قبل عملية طوفان الأقصى بوقت طويل.

ج – **عربيًا**، أظهرت حرب الإبادة البشرية التي تخوضها "إسرائيل" ضد غزة مدى تخلّي معظم الأنظمة العربية عن القضية الفلسطينية، وعجزِ النظام الرسمي العربي حتى عن تقديم أبسط عناصر الدعم إلى الشعب الفلسطيني المحاصر في قطاع غزة، وتواطآ ؤ هذا النظام ضد المقاومة التي تدافع عن القطاع، بل ضد كل خيار المقاومة في المنطقة، حتى إن بعض الأنظمة والجيوش العربية لم تتردد في استخدام أسلحة الدفاع الجوي لديها لحماية الكيان الصهيوني من الضربات الصاروخية للمقاومة اليمنية. في المقابل لم يقم الشارع العربي بالحد الأدنى من الدور المطلوب منه دفاعًا عن غزة، على الرغم من هول المجازر وأعمال الإبادة الجماعية التي يقوم بها الكيان الصهيوني ضد أه لها؛ الأمر الذي يطرح الأسئلة حول أسباب خمول الشارع العربي وعدم القيام بدوره في دعم القضية الفلسطينية، وبالتالي عدم قدرته على إحداث تغيير داخل حكوماته أو أنظمته لمصلحة القضية الفلسطينية والصراع العربي – "الإسرائيلي".

د – **عالميًا**، كشفت عملية طوفان الأقصى وما تالها من حرب همجية مدى الترابط الاستراتيجي بين "إسرائيل" والغرب، وعلى رأسه الولايات المتحدة، كما كشفت مدى أهمية الدور الوظيفي الذي تؤديه "إسرائيل" في مشروع الهيمنة الإمبريالية الغربية على العالم، بما فيه الشرق الأوسط. وكشف هذا الدفاع الغربي المستميت عن "إسرائيل" وتبرير وإباحة المجازر التي ترتكبها في غزة، مدى زيف الهوية الثقافية التنويرية والإنسانية التي يقدّم الغرب نفسه بها ويخوض حروبه ومشاريع

[1]) فارس ابي صعب , معركة طوفان الأقصى قراءة في التحديات وسرديات الصراع والأدوار المساندة, مصدر سبق ذكره,ص34

هيمنته في العالم تحت غطائها، ومدى السقوط الأخلاقي والقيمي والفكري للنظام الرسمي في الغرب([1])

الخاتمة

لا شك أن معركة طوفان الأقصى، وبالتحديد ضربتها الافتتاحية في السابع من تشرين الأول/أكتوبر لعام 2023 ،كانت حدثًا استثنائيًا في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي ومنجزًا تاريخيًا للشعب الفلسطيني ولخيار المقاومة. ومن المؤكد أن بعض آثار تلك الضربة قد ظهر ومنها الكثير ال يزال قيد التبلور، ومن هذه الآثار ما قد يستطيع العدو السيطرة عليه ومنها الكثير الذي من الصعب السيطرة عليه.

ولقد أدت معركة السابع من تشرين الأول/ أكتوبر إلى توليد فرص كثيرة على المستوى الفلسطيني والإقليمي والعربي. فلسطينيًا، وأعادت الزخم للمشروع الوطني الفلسطيني وكرّست محوريّة القضيّة الفلسطينيّة في المنطقة بعد سنوات من محاولة طمسها وولّدت أفقًا جديدًا لمشروع التحرر الوطني الفلسطيني. على صعيد العدو كشفت الأحداث الأخيرة عن ف قّاعة الحصانة الإسرائيلية وأسقطت محاولة إنهاء القضية الفلسطينية وأعادت الكيان إلى طرح الأسئلة ذات الطابع الوجودي والتأسيسي، وحفّزت انقساماته العميقة والمتزايدة وظهّرته عبئًا على المشروع الغربي. وإقليميًا أكّدت عملية طوفان الأقصى على حضور مشروع المقاومة وتصان جبهاته وصحّة الرهان عليه، وفرضت ضغوطًا كبيرة على مشاريع التسوية و التطبيع وألحقت مزيدًا من الوهن بمنظومة الهيمنة الأميركية في المنطقة.

الاستنتاجات

1- عملية طوفان الأقصى وحرب الإبادة الجماعية التي تلتها في غزة أحدثتا صدمة تاريخية مزدوجة قلّما عرف العالم مثيلًا لها في التاريخ الحديث والمعاصر و تغيّرت معهما الكثير من المفاهيم العسكرية والاستراتيجية وتحطّمت مسلّمات وسقطت سرديات وانتُهكت نُظم و قِيَم وشرائع ربما ستضع النماذج الفكرية لبعض الحضارات أمام أسئلة أو حتى مساءلة كبرى بعد الحرب) وتنطبق على ذلك نظريًّا مقاربة الصدمة التاريخية (Trauma Historical .)

2- طوفان الأقصى نجح في خلق حالة جديدة نهضوية وسياسية وتضامنيّة على مستوى المشرق العربي وغرب آسيا.

3- إذا لم يؤدِّ طوفان الأقصى وحرب الإبادة الجماعية التي أعقبته إلى إلغاء مشاريع التّطبيع العربية مع "إسرائيل" فهي ستلجمها وتحدّ من توسعّها على الأقل.

4- إنجاز الأقلية المقاوِمَة المبدعة قد هزّ أغلبية شعوب الأمة الرّاكدة وأشعل فيها روح النهوض.

5- مهما كانت نتائج الحرب ف لن يستطيع العدو ترميم آثار عملية طوفان الأقصى التي سيكون في طليعتها بدء الهجرة المعاكسة من الكيان الصهيوني.

6- عملية طوفان الأقصى سرّعت في التحوّل الذي يشهده النظام الدولي بحيث أصبح هناك أميركا و "إسرائيل" من جهة وباقي القوى العالمية التي تطالب بوقف إطلاق النار من جهة ثانية.

7- أظهر العدوان على غزة استنتاجات يجب تعزيزها في طليعتها انكشاف الغرب الأخلاقي والإنساني والقانونيً .

8- أظهرت حرب غزة حدوث تحولات مهمّة في الرأي العام الغربي، وبخاصة لدى جيل الشباب، بمن فيه الشباب الجامعي في الولايات المتحدة، الذي يتبنّى رؤية جديدة للقضية الفلسطينية تصل إلى حدود نسف السّردية الإسرائيلية وتبنّي الحقائق التاريخية للقضية الفلسطينية.

[1]) عصام نعمان, معركة طوفان الأقصى قراءة في التحديات وسرديات الصراع والأدوار المساندة, مصدر سبق ذكره, ص 35

المصادر

أولا.. الكتب والدوريات:

- رانية محمد نصر, معركة طوفان الاقصى, نظرة إعلاميّة .. ومقاربة شرعيّة, اسطنبول , 2024
- بسام يعقوب عباس و حسين علي بحر , طوفان الأقصى الإرهاصات ا ولارتدادات الجيوسياسي, مجلة قضيا سياسية, عدد 76 , 2024
- فاضل حسن كطافة الياسري, عملية طوفان الاقصى وبداية زوال الكيان الصهيوني, مجلة اكليل للدراسات الانسانية, مجلد 5 عدد 1 , اذار 2024
- عملية "طوفان الأقصى"، تطوراتها، وأبعادها، وتداعياتها المحتملة, , مركز حرمون للدراسات المعاصرة,2023
- ميثم عنيدي علي, الحرب الاسرائيلية على غزة(بحث في الأهداف والأبعاد الجيوستراتيجية, Journal For Political Sciences Tikrit, 2024. 34
- سعد محيو , معركة طوفان الأقصى قراءة في التحديات وسرديات الصراع والأدوار المساندة, حلقة نقاشية, المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق , كانون الأول 2023
- محمد حسب الرسول, معركة طوفان الأقصى قراءة في التحديات وسرديات الصراع والأدوار المساندة, حلقة نقاشية, المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق , كانون الأول 2023
- فارس ابي صعب, معركة طوفان الأقصى قراءة في التحديات وسرديات الصراع والأدوار المساندة, حلقة نقاشية, المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق , كانون الأول 2023.
- عصام نعمان, معركة طوفان الأقصى قراءة في التحديات وسرديات الصراع والأدوار المساندة, حلقة نقاشية, المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق , كانون الأول 2023.

ثانيا: المواقع الالكترونية:

- دعاء عبد الله, لماذا طوفان الأقصى؟ , متاح على الرابط, https://mail.baqiatollah.net/article.php?id=12358 اخر زيارة 2024/10/26
- طوفان الأقصى.. سقوط جدار الإمبراطورية, متاح على الرابط , https://www.aljazeera.net/blogs/2023/10/14/ اخر زيارة 30/ 10 /2024
- هل «طوفان الأقصى» هو الذي أغرق غزة؟, متاح على الرابط الالكتروني (https://alwatannews.net/Opinion/article/1092973/) اخر زيارة 2024/11/5
- وليد عبدالحي, قراءة تحليلية طوفان الاقصى: ملامح المشهد الحالي, متاح على الرابط التالي (https://orouba.ps/post/347) اخر زيارة 2024/11/11
- ما هو طوفان الاقصى, متاح على الرابط , https://misbar.com/qna/2023/10/15/ اخر زيارة 2024/11/18